الحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي

عياد محمد سمير
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

ينطلق الحوار بين حلف الشمال الأطلسي NATO ودول المتوسط من مفهوم ارتباط أمن أوروبا بشكل وثيق بأمن واستقرار منطقة المتوسط، الأمر الذي تبلور بين الطرفين عام 1994، حيث يعد هذا الحوار دلالة على تأقلم الحلف مع أجواء ما بعد الحرب الباردة، كما أنه يشكل عنصرا هاما في سياسة الانفتاح والتعاون التي ينتهجها الحلف في هذه المرحلة من تاريخه.ويمكن القول بأن نجاح برنامج الشراكة والتعاون لمنظمة حلف الشمال الأطلسي مع دول أوروبا الشرقية والوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وبداية تشكل فضاء التعاون الأمني الأورو-متوسطين في تشجيع هذه المنظمة الأطلسية على إيجاد إطار خاص للحوار والتعاون مع دول جنوب وشرق المتوسط. وانطلاقا من تحديد الهدف العام للحوار بين الحلف ودول المتوسط والمتمثل في المساهمة في أمن واستقرار المنطقة، والتوصل إلى تفاهم متبادل بين الأطراف المتحاورة، وتحسين صورة الحلف لدى شركاءه في هذا الحوار، يمكن التساؤل عن خلفيات وركائز الحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي، ومكانة الجزائر منه.

1-أهمية البحر المتوسط:

يعتبر البحر المتوسط مساحة مائية كبيرة تتوسط القارات الثلاث: إفريقيا، آسيا، أوروبا، ومن هنا جاء اسم المتوسط، أو البحر المتوسط لأنه يتوسط الأرض، فالبحر المتوسط Mediteranean Sea مشتق من كلمتين لاتينيتين هما: Terra Meduis، أي Terra بمعنى الأرض،Meduis بمعنى المتوسط، أي البحر الذي يتوسط الأرض[1] لقد لعب البحر المتوسط دورا أساسيا في نشر الحضارات القديمة: المصرية، اليونانية، الفينيقية، الرومانية، والإسلامية، ثم حضارة الكشوفات الجغرافية التي اعتمدت على القوة البحرية، إذ توسط البحر المتوسط كل هذه الحضارات والكشوفات الجغرافية والإستعمارية، مما جعل الأوروبيون يطلقون عليه في القرنين 18 و19 تسمية La Méditéranée. واعتبر مورتن كابلان Morton Kaplan أن مستقبل السياسة العالمية سيعتمد على الأقل في العقد القادم واحتمالا للجيل القادم أيضا، على تطور المنطقة المحيطة بحوض البحر الأبيض المتوسط، إذ يحتوي الربع الشمالي منها (أوروبا الغربية) على أكبر تركيز للقوة البشرية المعاصرة في العالم التي تقارب مثيلتها في الولايات المتحدة الأمريكية، ويمتلك الربع الجنوبي الشرقي من تلك المنطقة مصادر واسعة ورخيصة للطاقة، ويعدّ تدفّقها المستمر في

العقدين القادمين ضروريا للصحة الاقتصادية والسياسية للربع الشمالي الغربي، ويحتوي الربع الشمالي الشرقي على المنطقة السوفياتية من أوروبا بما فيها روسيا الأوروبية وأوروبا الشرقية بالإضافة إلى روسيا الآسيوية.

كما قال الجنرال Buis في هذا البيان ما يلي:"يظهر المتوسط، مع نهاية هذا القرن العشرين، فضاءا ذا أهمية حيوية"، ويضيف: "[1]...نجد فيه المغرب حارسا على مضيق جبل طارق، بينما تهيمن الجزائر بسواحلها على الممرات البحرية نحو مضيق صقلية، أين تحرس تونس على ضمان أهميتها وموعها الاستراتيجي طيلة قرون، بينما تحرس ليبيا في إطار مجالها الحيوي الاستراتيجي جزءا كبيرا من السواحل الشمالية للمتوسط الممتدة من إيطاليا إلى اليونان"[2] وتقول الباحثة إيلين لابسيون من جهة أخرى الآتي:" إن معظم الناس يفكرون في البحر الأبيض المتوسط ككتلة من الماء تفصل بين مساحات الأرض الواسعة لكل من أوروبا، إفريقيا، وآسيا، وأنه بحر تحيطه دول ذات هويات ومصالح مختلفة تماما، مع ذلك فإن البحر يوجد بالقدرة، وقد جاء الوقت لأن نبدأ التفكير في البحر الأبيض المتوسط كمنطقة لها وضع خاص، كوحدة جغرافية تربط الدول باهتمامات مشتركة لها ميزات التنافس على الموارد، ولديها الحوافز لايجاد حلول مشتركة لمشكلاتها التي تزداد اتساعا"[3]

2-خلفيات الحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي:

إذا كانت مرحلة الحرب الباردة قد شهدت خلافات أمريكية أوروبية عديدة حول إستراتيجية الحلف العسكرية، وتقاسم الأعباء والتكاليف الخاصة بالإنفاق العسكري، إضافة إلى خلافات حول قضايا عديدة مثل الخلاف الأمريكي مع بريطانيا وفرنسا بسبب عدوان عام 1956 على مصر[4]، فإن انتهاء الحرب الباردة جاءت مصحوبة بالعديد من القضايا، منها ما يتعلق بقضايا أوروبية كالموقف في البوسنة، ومنه ما يتعلق بقضايا التعديلات المطلوب إدخالها على هياكل حلف الشمال الأطلسي، وحدود الدور الأوروبي في صنع قرارات الحلف. وبرز في هذا الإطار اتجاهان[5]:

أ- الفريق الأول أكد بأن انتهاء الحرب الباردة يمثل بداية مرحلة الافتراق في العلاقات وظهور خلافات لا تعدو أن تكون داخل إطار التحالف، مستندا على المعطيات التالية:

- إذا كان الخطر السوفياتي قد دفع الولايات المتحدة لأن تكون قوة أوروبية تتفق وتتعهد بالأمن الأوروبي ضد عدو مشترك على نحو مكن من استيعاب كافة المشاكل والأزمات التي شهدتها العلاقات، فإن انتهاء الحرب الباردة سوف يزيل عامل توحد قوى كان كفيلا بوضع سقف لمدى تصاعد الخلافات.

- إن انتهاء الحرب الباردة أدى بالولايات المتحدة الأمريكية إلى انغماسها أكثر في قضايا الداخلية، وهو ما عبر عنه نائب مساعد وزير التجارة الأمريكي الأسبق جيفري جارتن Jeffery Garten بقوله: "إن الأيام التي كنا نخضع فيها مصالحنا الاقتصادية للأحلاف السياسية والأمنية قد انتهت، ما لم نكن مهددين عسكريا بشكل مباشر"[6]. وقد انعكست تلك السياسة الأمريكية أثناء النزاع في البوسنة، حيث أحجمت عن التدخل العسكري تاركة المهمة للبلدان الأوروبية.

ب- يؤكد الفريق الثاني على أهمية العلاقات الأوروبية الأمريكية، حيث يعتبر انتهاء الحرب الباردة فرصة لتدعيم العلاقات الثنائية، لأن إذا كانت أوروبا عير مستقرة وضعيفة، فهي ستمثل مصدر تهديد حقيقي –لا محال- للمصالح الأمريكية.

مهما يكن الأمر، يمكن القول بأن نهاية الحرب الباردة أملت على الحلف الأطلسي مقاربة جديدة ترتكز على الفرضيات التي تضع نزاعات إقليمية في مركز إستراتيجيته، مع جعل الوقاية من الأزمات ومكافحة الإرهاب في قلب اهتماماته، إذ أنه في قمة رؤساء الدول والحكومات المنعقد في لندن في جويلية 1991، ظهر المفهوم الاستراتيجي للحلف من أجل الاستجابة إلى متطلبات مرحلة ما بعد الحرب الباردة.[7] ويتركز المفهوم الاستراتيجي للحلف[8] على فكرة الأمن التي تقوم على ميكانيزم الوقاية عن طريق الحوار والتعاون والإبقاء على قدرة دفاعية جماعية، والتي تستجيب إلى أربع مهام رئيسية:

أ- ضمان أمن أوروبا.

ب- تفضيل التشاور في حالة خطر أو تهديد خطير.

ج- ردع أي تهديد خارجي.

د- الحفاظ على التوازن الاستراتيجي.

ويقوم المفهوم الجديد على افتراض أن التهديد واسع المدى قد انتهى بصورة كاملة ومن ثمّ لم تعد هناك حاجة لتخطيط الحلف على هذا الهجوم المفترض، كذلك اعتمد هذا المفهوم على ما يسمى بالأرضية الأمنية الجديدة في أوروبا، والتي تساعد بدرجة أكبر على تحقيق أهداف الناتو الأصلية من خلال الوسائل السياسية، وهي الأهداف التي أشارت إليها اتفاقية واشنطن إجمالا بتطوير الاستقرار في منطقة شمال الأطلسي، والمساهمة في تطوير العلاقات السلمية على الصعيد الدولي[9]. وخلال اجتماع مجلس الحلف في واشنطن بتاريخ 23 و24 أفريل 1999، صادق

رؤساء الدول والحكومات على المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف[10]، الذي يعبر عن التغيرات الجيوبوليتيكية العميقة التي حدثت في العشرية الأخيرة والذي يعترف بالأهمية المتزايدة لشركاء الحلف فيما يخص مواجهة تحديات المستقبل في مجال الأمن[11]. والملاحظ أنه خلال الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس منظمة حلف الشمال الأطلسي، تم بالإضافة إلى التطرق لأزمة كوسوفو، دراسة سبع ملفات تتعلق بـ:

- المفهوم الاستراتيجي الجديد لحلف الشمال الأطلسي.
- الآفاق التي يعمل من أجلها الحلف.
- مسألة توسيع الحلف.
- أخطار الانتشار النووي.
- الاستراتيجية النووية للحلف.
- بناء الهوية الأمنية والدفاعية الأوروبية المسطرة فيما سبق[12].

وفيما يخص توسيع الحلف، صرحت مادلين أولبرايت كاتبة الدولة السابقة للخارجية الأمريكية، أن هناك ثلاثة أسباب لتوسيع الناتو، حددتها في:

- ضرورة تعزيز المنظمة ببلدان أخرى تتقاسم معنا نفس القيم.
- أن التوسيع كفيل بأن يقلص احتمالات تدخل عسكري أمريكي في أوروبا" وأخيرا.
- ضرورة إدخال تعديلات على المنظمة لتجاوز النظرة الخاصة بالحرب الباردة[13].

بالإضافة إلى نشاط الحلف في أوروبا فإن المنظمة تعمل على تطوير الحوار مع بلدان حوض المتوسط، التي تراها أو تعتقد أنها قادرة على المساهمة في أمن المنطقة، وفي هذا الإطار ومنذ 1994 جرى حوار مع دول متوسطية من بينها الدول المغاربية: موريتانيا، المغرب، تونس، الجزائر.

شكل يوضح الحوارات المختلفة لحلف الشمال الأطلسي NATO

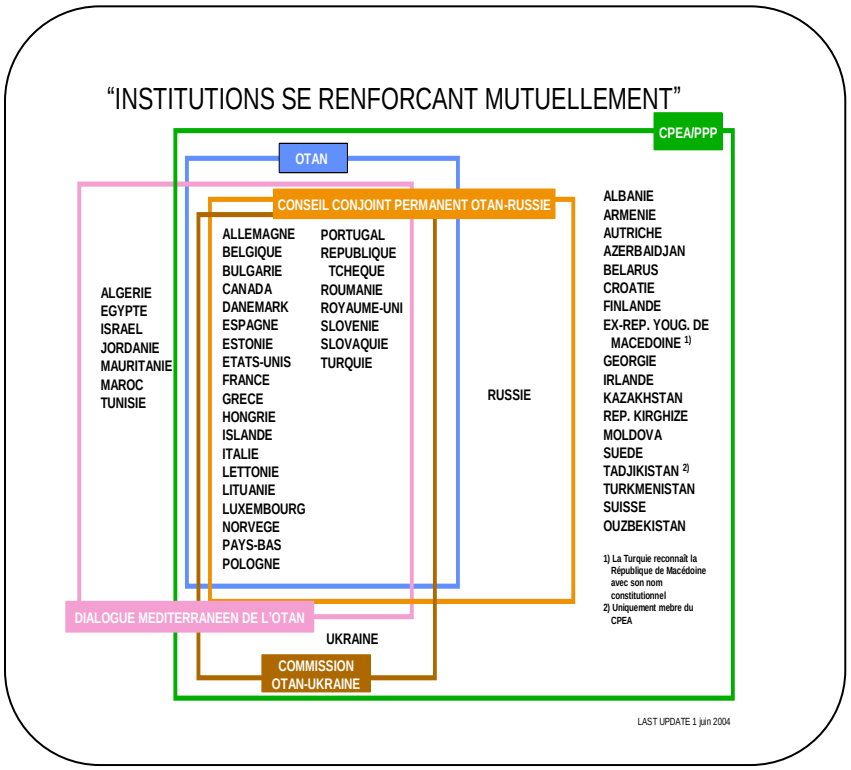

Source : OTAN, Division des affaires politique, Institutions se renforçant mutuellement. Dans le site : http://www.nato.int/multi/slides/pres-fr.ppt#262,5,Diapositive 5, consulté le 1 Juin 2004.

ويعود اهتمام الحلف بالمنطقة المتوسطية عامة والمغاربية بصفة خاصة، نتيجة لتغير التحديات الأمنية للاتحاد الأوروبي حسب خبراء الحلف الأطلسي، حيث أصبحت منذ بداية التسعينيات تخص قوسين من الأزمات[14]:

– الأول هو القوس الشرقي الذي يمتد من شمال أوروبا إلى منطقة البلقان مرورا بألمانيا وروسيا.

– الثاني يتعلق بالقوس الجنوبي الذي يعبر شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط إلى غاية الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا.

وبعد احتوائه لبؤرة وسط وشرق أوروبا من خلال توسيع شراكة الحلف مع هذه المنطقة في إطار ما يعرف بـ "الشراكة من أجل السلم"، بدأ الحلف الأطلسي تكييف إستراتيجيته مع مفاهيم الخطر والتهديد الجديدة التي

تحولت من محور صراع شرق-غرب، إلى محور شمال-جنوب، باستشراف التحديات الإستراتيجية المحتملة على المدى البعيد، التي قد تعترض دول الشمال في جنوب البحر المتوسط وفق منظور إطاره الاستراتيجي الموسع الممتد من جبل طارق غربا إلى البحر الأسود شرقا. ويمكن حصر التهديدات المحركة لتحول إستراتيجية حلف الشمال الأطلسي نحو محور الجنوب وفق المنظور الأمريكي-الأوروبي على النحو التالي[15]:

- انحسار الحدود التقليدية بين الأمن الأوروبي وأمن دول حوض المتوسط بحكم تفاعلات الهجرة والاتصال من جهة وتطور التكنولوجيا العسكرية من جهة أخرى.

- احتمالات بروز اضطرابات سياسية، اقتصادية واجتماعية في دول جنوب البحر المتوسط، وإمكانية تأثيرها على أمن واستقرار الاتحاد الأوروبي عبر قنوات الاتصال الناجمة عن عاملي الهجرة وتواجد الجاليات الجنوبية في أوروبا.

- آثار التطور التكنولوجي الذي يجعل العواصم في الاتحاد الأوروبي عرضة لهجومات محتملة بصواريخ باليستية ذات التدمير الجزئي من شمال إفريقيا.

- التحولات الإستراتيجية الجديدة التي فرضتها أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي جعلت تحدي مكافحة الإرهاب الدولي الهدف الأول في سلم الإستراتيجية الدولية الأمريكية الجديدة، والتي يعتبر الحلف الأطلسي أحد أدواتها الرئيسية.

والحوار مع دول البحر المتوسط تطور تدريجيا وبنجاح، حسب "تصريح مدريد حول الأمن والتعاون الأوروبي-الأطلسي"، المتبنى في 8 جويلية 1997 من طرف مجلس حلف الشمال الأطلسي، ومن أجل ترقية هذا الحوار تم اللجوء إلى إنشاء مجموعة التعاون المتوسطي في 1998 [16]، التي لها المسؤولية الكاملة للحوار حول المتوسط.

ويمكن القول بأن نجاح برنامج الشراكة والتعاون لمنظمة حلف الشمال الأطلسي مع دول أوروبا الشرقية والوسطى، وبداية تشكل فضاء التعاون الأمني الأورومتوسطي الذي جاء نتيجة الحوار الأمني الذي باشره اتحاد أوروبا الغربية مع الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا في 1994 والذي كان يهدف إلى إيجاد لمناقشة القضايا الأمنية، إدارة الأزمات وشفافية النشاطات العسكرية ووضع آليات تبادل الثقة بين دول الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط، كل ذلك ساهم في تشجيع المنظمة الأطلسية على إيجاد إطار خاص للحوار والتعاون مع دول جنوب المتوسط، حيث كانت البداية في جانفي 1994 في قمة بروكسل بتصريح مشترك لقادة دول وحكومات الحلفاء

والذي يؤكد أن التطور الإيجابي لمسار السلام في الشرق الأوسط سمح للحلف الأطلسي بمباشرة إجراءات لترقية الحوار والتفاهم وتدعيم الثقة بين دول المنطقة المتوسطية، مع تشجيع كل الجهود التي تساهم في تدعيم الاستقرار الإقليمي[17].لذا وجه مجلس حلف الشمال الأطلسي في 8 فيفري 1995 دعوة رسمية إلى ست دول[18] في المنطقة للمشاركة في الجولة التمهيدية للحوار حول البحر المتوسط، فكان ميلاد **الحوار المتوسطي** تحت إدارة المنظمة التي عمدت إلى تكملة التعاون الإقليمي للاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي OSCE في المجال الأمني لمنطقة البحر المتوسط.وتم إعادة تنشيط الحوار في قمة مدريد في جويلية 1997 بإنشاء مجموعة التعاون المتوسطية GCM [19]، وهو الإطار الذي يسمح لأعضاء الحلف الأطلسي بإجراء حوار سياسي مباشر مع الدول المتوسطية حول الأبعاد الأمنية للمنطقة.

3-ركائز الحوار المتوسطي لحلف الشمال الاطلسي:

يرتكز الحوار المتوسطي لمنظمة حلف الشمال الأطلسي على مجموعة من الخصائص لخصتها جيت نوردام[20] Jette Nordam فيما يلي[21]:- يتعامل الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي بطابع ثنائي مع دول جنوب المتوسط، كأطراف منفردة لا كمجموعات إقليمية سياسية وأمنية موحدة، وهو ما نلمسه مع دول المغرب العربي: الجزائر والمغرب وتونس، الذي تم التفاوض معها بصفة انفرادية.

- يقوم الحوار المتوسطي على مسار مرحلي تدرجي، من حيث عدد الدول المشاركة ومضمون القضايا المطروحة.

- يرتكز الحوار المتوسطي على أساسين، الأول أمني يتعلق بالتعاون وتبادل الآراء والنقاش حول قضايا الأمن والاستقرار في منطقة البحر المتوسط بكل آلياته العسكري، والثاني سياسي يتضمن وضع إطار دائم للتشاور والمباحثات السياسية الثنائية حول تطورات الوضع في المنطقة وكل ما من شأنه التأثير على استقرار المجال المتوسطي.

لذا قام حلف الشمال الأطلسي في 1 جويلية 1997 عن وضع برنامج جديد للتعاون العلمي بينه وبين الدول الشريكة بما فيها دول المغرب العربي، سمي البرنامج بـ"العلم في خدمة السلام La science au service de la paix"، حيث تم السماح لرجال العلم من الدول الشريكة للمشاركة مع زملائهم من دول الحلف، في برامج البحث التطبيقي والتنمية، ويهدف برنامج S/P من جهة إلى ترقية وتطوير مشاريع البحث التطبيقي والتنمية فيما يخص المشاكل الصناعية أو المرتبطة بالبيئة أو الأمن، ومساعدة رجال العلم من الدول الشريكة في تكثيف اتصالاتهم مع المجموعة العلمية لدول الحلف[22] مع تدعيم الهيكلة العلمية في الدول المعنية، وقد جاء هذا البرنامج تبعا لبرنامج

"العلم في خدمة الاستقرارLa science au service de la stabilité ". هذا وقد أكد نائب الأمين العام السابق لمنظمة حلف الشمال الأطلسي السيد كلوس بيتر كلايبارت Klaus Peter Klaibert خلال محاضرة ألقاها بالمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة بالجزائر يوم الثلاثاء 13 مارس 2001، أن الحوار المتوسطي الذي بعثه حلف الشمال الأطلسي سنة 1994 يندرج في سياق الشراكة والتعاون، فالأمن بأوروبا –أضاف المحاضر– مرتبط ارتباطا وثيقا بالاستقرار والأمن المتوسطي، وبوجود هذا الارتباط فلماذا لا تكون نفس الشراكة ونفس التعاون الذي حدث من قبل في كامل أوروبا ولاقى النجاح المطلوب، فالحوار المتوسطي وصل إلى درجة جد متقدمة، إذ أنه وعلى الرغم من حداثته انضمت إليه في أول الأمر خمس دول ثم ست ثم سبع دول بانضمام الجزائر[23].

4-مبادرة حلف الشمال الاطلسي للتعاون في مجال التدريب:

أطلق رؤساء دول وحكومات بلدان حلف الناتو، خلال قمة ريغا التي عُقدت في نوفمبر 2006، مبادرة الناتو للتعاون في مجال التدريب كإطار لإشراك خبرات الحلف التدريبية مع شركاء الناتو في الشرق الأوسط الكبير والمنضمين إلى كل من الحوار المتوسطي ومبادرة اسطنبول للتعاون. ويسعى الناتو، من أجل تحقيق هذا الغرض، إلى بناء شبكة واسعة من الأنشطة التدريبية التي ستحدّث البنى الدفاعية وتدرب قوات الأمن وذلك في إطار توجه تطويري ومرحلي.وتُعَد هذه المبادرة جزءاً من عملية التحول المستمرة التي تخضع لها قدرات الناتو وعلاقاته، وذلك رداً على بيئة الأمن المعقدة على الدوام، فقد بات جلف الشمال الأطلسي اليوم مرتبطاً بعدد كبير من العمليات والمهمات عبر ثلاث قارات، تشمل عمليات الرد على الأزمات والمهمات التدريبية، إضافة إلى عمليات الإغاثة الإنسانية، ولا سيما عند حدوث الكوارث. يُضاف إليها أن التحالف يقيم شراكات وحوارات وتعاوناً مع ما يقرب من أربعين دولة، ولكن بدرجات متفاوتة، جاعلاً بذلك عائلة حلفائه وشركائه مجموعة من الدول تمثل ثلث الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. كما أن الناتو يواصل مشاوراته وتعاونه المباشر مع منظمات أخرى، دولية وغير حكومية، على المستويين الاستراتيجي والميداني.ويؤدي الحلف دوراً متزايداً في المبادرات التعليمية والتدريبية التي تساعد الدول غير المتحالفة مع الناتو على إصلاح بنيتها الدفاعية، وتجعل قواتها المسلحة أكثر قدرة على تبادلية التشغيل مع جيوش التحالف .ويمكن للناتو أن يتابع مسيرة البناء، مستنداً إلى التجارب والخبرات الكبيرة التي اكتسبها من تدريبه وتعليمه جيوش الدول الشريكة له وقوات أمنها، وذلك ضمن سياق شراكاته ونشاطاته التعاونية المختلفة، مستفيداً من المنشآت الراسخة والمميزة التي يمتلكها، أو يمتلكها حلفاؤه وشركاؤه .

وأصبح التعليم والتدريب، في الوقت ذاته، جزءاً من نشاطات الناتو العملياتية. فالحلف، على سبيل المثال، يشترك مباشرة في تدريب قوات الأمن العراقية من خلال مهمة الناتو التدريبية في العراق. كما أنه يدعم تدريب قوات الأمن الأفغانية من خلال قوة المساعدة الأمنية الدولية (إيساف)، وعلى نطاق أوسع أيضاً من خلال برنامج كبير يتضمن تعاوناً بعيد المدى، تم الاتفاق عليه مؤخراً بين الناتو وأفغانستان. وأخيراً، ساهم حلف الناتو في بناء قدرات وإمكانات قوات الاتحاد الإفريقي في السودان، وذلك من خلال تدريب ضباطها ومسؤوليها، ومساهمات أخرى .

وفي هذا السياق، بدأ الحلفاء بالتفكير في طرح مبادرة تدريبية لحلف الناتو، لتدريب القوات العسكرية التابعة للدول غير المتحالفة مع حلف الناتو، ولمنظمات دولية في مناطق أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا. ونظراً إلى التزام الحلف بتوطيد علاقاته مع الشرق الأوسط الكبير، وهو ما تم طرحه في قمة اسطنبول في عام 2004 كأساس للعمل المستقبلي، فقد صدَّق رؤساء دول وحكومات الحلف في قمة ريغا على تأسيس شبكة واسعة للأنشطة التدريبية للمنفعة المتبادلة بين الحلفاء من جهة، وشركاء الناتو في كل من الحوار المتوسطي ومبادرة اسطنبول للتعاون من جهة أخرى[24].ويتمثل أحد الأهداف الرئيسية لتلك الأنشطة بمساعدة الدول المهتمة على تعزيز قدرات وإمكانات قواتها العسكرية، وجعلها أكثر قدرة على تبادلية التشغيل مع قوات الحلفاء. وهناك أهداف محتملة أخرى يتم العمل على تحقيقها بناءً على رغبة الطرفين، وتتضمن مساعدة تلك الدول على مكافحة الإرهاب وعلى تحديث بنيتها الدفاعية .

ومن وجهة نظر حلف الناتو، فإن هناك عدداً من المبادئ التي ترتكز عليها هذه الأهداف. فيجب أن تكون هذه الأنشطة ذات منفعة متبادلة بين الحلفاء وشركاء الناتو، وأن تكون في إطار الملكية المشتركة، وبحسب الطلب والرغبة. كما يجب أن تكون هذه الأنشطة بمنـزلة تكملة للبنية التي تم بناؤها وللبرامج الموجودة، وأن تحسن من البرامج الثنائية والمتعددة الأطراف الحالية، وأن تتفادى تكرار البرامج. وتتطلب هذه المبادئ شفافية وتنسيقاً مع الدول الأخرى ومع الهيئات الدولية كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي. كما تتضمن المبادئ الأخرى، في ما تتضمن، الشمولية وعدم التمييز والتفاضل الذاتي.

5-الجزائر والحوار المتوسطي لحلف الشمال الاطلسي:

وجه مجلس حلف الشمال الأطلسي دعوة إلى الجزائر في 8 مارس 2000 للحوار المتوسطي، وقد جاءت هذه الدعوة في وقت متأخر نسبيا مقارنة بالدول المتوسطية الأخرى، ولعل أهم الأسباب الظاهرية التي أخرت ذلك هي موجة العنف السياسي التي شهدتها الساحة السياسية الجزائرية، والتي وضعت أمريكا وأوروبا والحلف

الأطلسي أمام خيارات صعبة لفترة طويلة إذا ما قسناها بمستوى العنف الذي مرت به الجزائر[25].لم تتردد الجزائر في قبول الدعوة التي وجهت إليها من قبل أمانة الحلف الأطلسي، وعملت منذ ذلك الوقت على ترسيخ الحوار والمضي به إلى مكانة أعلى قد يتم خلالها ارتباطها بالمنظمة الأطلسية باتفاقيات أمنية، بالتالي أصبحت الجزائر البلد الثالث الذي يوقع على إطار للاتفاق الأمني مع الحلف الأطلسي في جانفي 2003، بعد إسرائيل (أفريل 2001) والأردن.

وبالرغم من التأخر في التحاقها بالحوار، وصلت الجزائر بعلاقاتها مع الحلف الأطلسي تقريبا إلى نفس المستوى الذي بلغته علاقات الدول المتوسطية الأخرى مع المنظمة، ويبرز ذلك من خلال التبادل المستمر للزيارات بينها وبين المنظمة والمشاركة في الملتقيات والمؤتمرات التي تجمع بين دول الحوار على الضفتين من المتوسط.وفي هذا الاطار تم إجراء مناورات مشتركة بين وحدات من القوات البحرية الجزائرية مع المدمرة أرتر.و.رادفورد من الأسطول الأمريكي السادس في الفترة الممتدة من 6 إلى 9 ماي 2000 بأعالي البحار[26]. وفي هذا الإطار دائما رست المدمرة الأمريكية ميتشر التابعة إلى الأسطول السادس بميناء الجزائر في الفترة الممتدة من 4 إلى 8 فيفري 2001، للمشاركة في تمارين مشتركة مع القوات البحرية الجزائرية[27].

كما قام أركان القوات الجزائرية السابق السيد محمد العماري بزيارة مقر القوات الأمريكية بشتوتعارت، وشاركت الجزائر لأول مرة كدولة ملاحظة في التمارين العسكرية "أوسيبري 2001" التي أشرف عليها القائد الأعلى للتحالف الأطلسي الجنرال وليام كيرنان، بمشاركة 150 ضابطا عسكريا من 19 دولة، وسمحت التمارين التي امتدت ما بين 1 و9 مارس على مستوى مركز التكوين حول حفظ السلام الدولي الكندي ليستر بيرسون بكليمنسيورت للمشاركين بالاضطلاع على الأساليب والتقنيات المستخدمة في مجال دعم عمليات حفظ السلام ومهام عسكرية أخرى. ومن ناحية أخرى انخرطت الجزائر، من خلال مشاركتها في مبادرة حلف الشمال الأطلسي للحوار المتوسطي، في عملية "المسعى النشط" التي هدفت إلى مكافحة الإرهاب في المنطقة[28].وفي 10 جوان 2001 حل بالجزائر وفد عسكري بقيادة الأميرال لويجي ليلو Luigilillo قائد القوات البحرية الحليفة في جنوب أوروبا في زيارة دامت ثلاثة أيام[29]، دارت المحادثات حول العلاقات بين البحرية الجزائرية والقوات البحرية للحلف وإمكانية تدعيم هذه العلاقات.

وفي 21 أكتوبر 2001 التقى نائب أمين عام الحلف كلوديو بيسونيرو Claudio Bisogniero قادة رأي رفيعي المستوى من الجزائر، ضمن برنامج نظمه قسم الدبلوماسية العامة في مقر قيادة الحلف، وتناول النقاش

قمة حلف شمال الأطلسي في ليشبونة، وإستراتيجية الناتو الجديدة والتغيرات في منطقة المتوسط والشرق الأوسط، والتعاون العسكري للناتو ضمن الحوار المتوسطي، ودور الناتو في محاربة الإرهاب والعمليات التي يقوم بها حالياً، والتعاون مع الناتو في المجالين العلمي والبيئي، كما أتيحت الفرصة للمشاركين لمناقشة هذه المواضيع وغيرها مع الممثلين الدائمين لتركيا واسبانيا والمجر والمملكة المتحدة والبرتغال في مجلس شمال الأطلسي. أنشأ حلف الشمال الأطلسي وظائف عسكرية أثناء الحرب الباردة من أجل تنشيط وتفعيل استراتيجية في الدفاع الجماعي ضد تحديات القوة العسكرية للاتحاد السوفياتي وحلف وارسو السابق لأمن غرب أوربا ومنطقة الأطلنطي، وبقيت تلك الوظائف ما دامت تلك القوة موجودة ومؤثرة، أما اليوم وبعد زوال تلك القوة وتفككها، فإنه أصبح من الصعب على الحلف خصر هدفه في حدود دفاعية عسكرية. فبعد الحرب الباردة وتبلور معالم النظام الدولي الجديد وظهور إفرازاته، ظهرت مواضيع حساسة تهدد ما يعرف بالأمن بصفة عامة، وخاصة في البحر المتوسط، كالإرهاب والانتشار النووي، والهجرة غير الشرعية والجريمة المنظمة. ويمكن القول بأن مبادرة حلف الشمال الأطلسي بشأن الحوار المتوسطي، هي مشروع أحادي التصور والبناء، يهدف أساس إلى محاولة تحقيق أمن دول الشمال في شكل سياسة استباقية للأخطار والتهديدات المحتملة، حيث أظهر الواقع الكثير من الخلفيات التي كان يتضمنها، فهل يمكن للطرف المتوسطي بناء استراتيجية أمنية نابعة من متطلبات البيئة الداخلية وليس تابعة لما يحدث في المحيط الخارجي؟

قائمة المراجع:

1-أسامة فاروق مخيمر، "تعريف الدولة المتوسطية، دراسة للخصائص الاجتماعية والاقتصادية"، السياسة الدولية، العدد 129، يوليو 1997، ص..42

2-عليلو موني، السياسة الأمريكية في منطقة شمال إفريقيا بعد الحرب الباردة، (مذكرة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2001/ 2002، ص..43

3-السيد يسين، "أمن البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط"، السياسة الدولية، العدد 118، أكتوبر 1994، ص..97

4-Philipe Gordon, "Recasting The Atlantic Allliance", in Survival, Vol 38, N°1, Spring 1996, p.p.41-42.

5-رياض مزيان، الحلف الأطلسي كأداة لتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة حالة حرب الخليج الثانية. (مذكرة ماجستير غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر باتنة: قسم العلوم السياسية. 2004-2005، ص..48

6-Philipe Gordon, Op.Cit. p.35.

7-Benfriha Noureddine, « Les missions de l'OTAN à l'ère du nouvel ordre internationale », Dans IDARA, V°9, N°2, 1999, p.137.

8-Jan Peterson, « Le prochain Concept Stratégique de L'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°2, Eté 1998, p.18.

9-حسن أبو طالب، "توسيع الناتو ومستقبل الأمن الأوروبي"، في السياسة الدولية. ع. 129، جويلية 1997، ص..102

10-Javier Solana, « Sommet de Washington : une alliance résolue entre dans XXI siècle », Dans Revue de L'OTAN, Vol°47, N°1, Printemps 1999, p.3.

11-Isabelle François, « Le partenariat constitue l'une des taches de sécurité fondamentales de l'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°48, Printemps-Eté 2000, p.28.

12-Karl Heinz Kamp, « L'OTAN après Kosovo ange de paix ou gendarme du monde », Dans Politique étrangère, Vol.64, N°2, Année 1999, p.246.
13-Conseil du l'Atlantique Nord en session des ministres de défenses, « Communiqué final 2 Décembre 1997 ». Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°1, Printemps 1998.

14-إبراهيم تيقمونين، المغرب العربي في ظل التوازنات الدولية بعد الحرب الباردة. (مذكرة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر: قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية. جوان 2005، ص..38

15-نفس المرجع، ص..39

16-Nicola de Santis, « L'avenir di l'initiative méditerranée de L'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°1, Printemps 1998. p.35.

17-إبراهيم تيقمونين، مرجع سابق، ص..41

18-الدول التي كانت معنية بالحوار هي: مصر، إسرائيل، موريتانيا، المغرب، تونس، الأردن. أما الجزائر فقد التحقت رسميا بإطار الحوار المتوسطي للحلف في مارس 2000، حيث كانت الجزائر البلد الثالث الذي يوقع على إطار للاتفاق الأمني مع الحلف الأطلسي في جانفي 2003 بعد إسرائيل في أفريل 2001 والأردن. وتعتبر الجزائر من أنشط دول الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، حيث قطعت خلال أربع سنوات فقط 2000-2004 أشواطا كبير ليرتقي موقعها من مستوى الحوار المتوسطي إلى الشراكة الاستراتيجية.

19-Jette Nordam, « Le dialogue méditerranéen: dissiper les malentendus et tablir la confiance », Dans Revue de L'OTAN, Vol°45, N°4, Juill-Aout 1997. p.p26-29.
20-Chef de la section Affaires multilatérales et régionales des affaires politiques de l'OTAN.

21-إبراهيم تيقمونين، مرجع سابق، ص..42

22-Jean-Marie Cadiou, « La science au service de la paix: le nouveau programme OTAN de coopération avec les pays partenaires », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°6, Nov-dec 1997. p.p.30-33.

23-بوسالم رشيد، "حلف الشمال الأطلسي.... من أجل حوار متوسطي"، في مجلة الجيش، ع 454، الجزائر: مديرية الإيصال، الإعلام والتوجيه، ماي 2001، ص..36

24-Fritz Rademacher, « L'Initiative de coopération en matière de formation de l'OTAN ». Dans Revue de L'OTAN. Printemps 2007.

25-حسين سنطوح، "الحوار الجزائري الأطلسي: من أين وإلى أين؟". في دراسات استراتيجية. ع 2، جوان 2006، ص.49.

26-سعاوي بوسالم، "المناورة البحرية الجزائرية-الأمريكية: اكتساب خبرات وتجربة"، في مجلة الجيش، ع 443، الجزائر: مديرية الإيصال، الإعلام والتوجيه، جوان 2000، ص..11

27-شطاطة خنفار، "تمارين بحرية جزائرية – أمريكية مضادة للغواصات"، في مجلة الجيش، ع 452، الجزائر: مديرية الإيصال، الإعلام والتوجيه، مارس 2001، ص.8.

28-M'hand Berkouk, "Le Maghreb dans les constructions stratégiques en Méditerranée: analyse prospective", Dans Séminaire internationale sur Méditerranée : tendances géostratégiques et questions Internationales , Alger : IDRI, 9 - 10 avril 2005.

29-ع. منصور، "وفد عسكري من حلف الشمال الأطلسي في زيارة إلى الجزائر"، في مجلة الجيش، ع.456، الجزائر: مديرية الإيصال، الإعلام والتوجيه، جويلية 2001، ص.2.